فلسطين في العين

عندما ينهمر الرصاص تغادر جراحاتالاصوات المكبوتة طيات الحلم. وتلملمالاقدام حركتها لتحرر قطعة ارض اخرى.

وعندما تتساقط القذائف كالمطر تنكمشالمتاريس. ويلتصق المدافعون بالخنادق حذرا والمهاجمون بالزوايابحثا عنالهدف.

الرصاص... يضيع اكثره في الهواء

والقذائف... لا تخلف الا بقاياأصواتها الجريحة.

ويظل رأسي مرتفعايحمل عيناً فلسطينية.

يتفرج علىالطلقة ويعبر بين القذيفة والقذيفة كيراها هاربة او هاجمة. يتابع حركتها...

ويكتب على صفحته لون الخوف الذيالتصق بها وهي تقترب من الارض.....

الرأس المرتفع أبدا...

كان رأس هاني جوهرية

وعندما يناديه احد الاخوةطالبا منه الاحتماء بالخندق حتى يهدأالقصف.. يردد:-

رجوك.... هذا شغلي.. خليني اعرف اشتغل.

***

العين الفلسطينية... منذ ان تفتحت مع فجر الثورة خاصمت الجفون وما عادت تكتحل الا بالالوان التي تحبها الجماهير. كانت لا ترى لذاتها وانما للآخرين. وكانت دائما تردد " من خلال الصورة الثابتة والمتحركة نستطيع ايصال ونشر مفاهيم الثورة الى الجماهير والحفاظ على استمراريتها ". أثناء المعركة.. كان اصبح المقاتل ينتشي في حضن الزناد... يقصده كلما ازداد شوقا وحبا للحياة وبعد المعركة.. كان يرتاح. لكن زناد العين الفلسطينية كان لا يصبر على فراق اصابع هاني، لان الفراق قبل ان تغرس العين خصبها في رؤوس الجماهير يعني العمى. ولهذا كان هاني يتنقل بين المعارك كما يتنقل بين القذائف ليرسم صورة فلسطين بكل الالوان.

***

كانت عيون العشاق تلهث متابعة الوان القوس القزحي تمتزج برذاذ الضوء الخافت، ترقص مع موسيقى الحلم. تلتهم نهاية فيلم فلسطين في العين

بطولة هاني فخري جوهرية

فلسطيني.. من القدس يحبها كما يحب كل مدن وقرى فلسطين وكما يحب كل اكواخها وطوابينها. ويحب اريحا وشواطئ البحر الميت كما يحب يافا وشواطىء البحر الابيض.. يحب الزيتون والبرتقال والزعتر والنعناع البري والبلدي مقاتل بالبندقية اذا كانت المعركة غير حامية.. اما اذا حمي الوطيس فسلاحه آلة

التصوير السينمائي. يعشق فلسطين رغم عظم ضريبة هذا العشق يراها ارضا.. وشعبا. تشريدا ونضال بطريقته الخاصة. يستمع للاخرين يتحدثون عنها ويصفونها بتعابيرهم المختلفة. ولكن صورتها في عينيه شيء آخر.. شيء أكبر من كل الكلمات.

***

عندما كان موكب الشهيد هاني يعبر مخيم شاتيلا باتجاه مقبرة الشهداء.

كانتالجماهير مصطفة على الجانبين في وداع ابنها البار. وارتفع صوت يؤكد لمن حوله:

-هذا مصور من عندنا.. هذا رأس الحربة هذا اشجع المقاتلين.

***

عندما اغارت الطائرات الامريكية المهداة للعدو الصهيوني على قواعد الفدائيين في ام قيس، كان هاني هناك يقف الى جوار رامي الدوشكا .

انتشر المقاتلون في الخنادق. وظل هاني يتابع بعينه الفلسطينية حركات الطائرة واصبعه على زناد آلته. وضاعت تكتكات آلته مع صراخ الدوشكا وهدير القذائف .. صاح بالرامي :

لا تستعجل ... لا تطلق النار .. دعها تقترب اكثر انت تصيبها احسن وانا اصورها احسن وهي تحترق .

***

في أيلول 70 وعندما انصبت نيران الرجعية العميلة مستهدفة الثورة كان عبور الشارع بطولة.

ويومها تحرك هاني يحمل آلة تصوير.

ودارت العين الفلسطينية في كل الاتجاهات وهاني يسير ببطء والعشرات حوله يتساقطون.

في الوحدات كان يسير بين القذائف.

وابتعد عن رفاقه مقتربا من مصادرالقصف.

وفجأة وجد نفسه مواجهة مع ثلاثة من جنود الملك العميل وبنادقهممو جهة الى صدره..

صاح بهم

-اوقفوا عندكم... لا تتحركوا وضغط على زناد آلته واخذ يصورهم.

-قفوا امام هذه الدبابة المحروقة امسكوا ايادي بعضكم.. ابتسموا.. لاتخافوا. ووقف الجنود امامه.. وصورهم

-تحركوا الى اليمين وسيروا خلفبعضكم. هذه آلة سينما.

ومع تكتكات الكاميرا سيطرت علىالجنود حالة مغناطيسية فساروا امامه-

-لا تنظروا الى الكاميرا.. انظرواامامكم.. اسرعوا.. واسرعوا..-

اركضواوركضوا.. واختفوا..

وعاد هانيوكان فيلم " بالروح بالدم ".

***

كان الجثمان المسجى في قلب الكنيسةمحضونا بعلم فلسطين وبشعار العاصفة.

وكان العلم باسما كوجه هاني.

ومنه كانت تحملق آلاف العيون الفلسطينية تحاول ان تختصر الزمن ليرسم صورة سريعة للارض التي احبها هاني وتمنى ان يصورها ويلونها بدمه .

ومع انتشار عبق البخور وارتفاع تراتيل المنشدين...هللويا... هللويا..

كان صليب اخضر ينبت من جذع التابوت

يحمل على زنديه علم فلسطين مفروداكشاشة سينما .

وابتدأ شعار العاصفة يغازل الوان العلم ويحكي قصص الارض.

والعين الفلسطينية تدور فتصهر بنظراتها الثاقبة دعائم الباطل وتشد ازرالحق.

"لا للحل السلمي" وسقط روجرز

"بالروح بالدم" حنكمل المشوار.. مهماطال.

"لبنان العربي" رغم انف براون.

من طرابلس الى الناقورة... مرورا بعينطورة المرسومة بدم الحب في عين هاني..

في عين فلسطين.